خمسة ملكوا العالم

المؤمنون

سليمان ﷺ وذو القرنين والمهدى

والكافران

النمروذ وبختنصر

إعداد

محمد سعيد

مكتبة الإيمان

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

ت : ٣٥٧٨٨٢

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، فإنه مَن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله .

وبعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد المعصوم ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾.

أما بعد:

قال رسول الله ﷺ : «القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم»

وقص تعالى علينا القصص وضرب لنا الأمثال وبين لنا هدفها فى أنها للتدبر والتفكر فى عواقب الأمور وللعظة والاعتبار مما حدث فى الأمم السابقة

وفى هذا الكتاب مثلين مثل لانتصار الرسل فى دعوتهم إلى الله عز وجل فى سليمان ﷺ ومثل لانتصار الدعاه فى دعوتهم إلى الله عز وجل فى ذو القرنين

ومثل فى تاريخ رجال ملكوا فكفروا وظلموا فكان عاقبة أمرهم خسراً وهلاكاً .

ومارواه ابن كثير عن مجاهد قال : ملك الدنيا أربعة : مؤمنان وكافران

فالمؤمنان : ذو القرنين وسليمان . والكافران : النمروذ وبختنصر وزاد القرطبى وسيملكها خامس وهو المهدى عليه السلام .

لم يصح تاريخياً أن ملك الدنيا أحد بل هؤلاء بلغ ملك بعضهم ما كان يعرف من دول تجاورهم ما عدا ما ثبت عن ذى القرنين أنه بلغ المشارق والمغارب .

ذو القرنين: ذكر الله تعالى ذا القرنين وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط .

سليمان: وقد مكن الله له فأعطاه ملكا لم ولن ينبغى لأحد من بعده . وسليمان عليه السلام قامت على عهده وعهد أبيه دولة إسلامية عاصمتها بيت المقدس ، وحدودها من المؤكد كانت تشمل بلاد الشام الحالية (سورية وفلسطين) وتشمل الجزيرة العربية كلها .

النمروذ : وذكروا أن النمروذ هذا استمر فى ملكه أربعمائة سنة ، وكان قد طغى وبغى ، وتجبر و آثر الحياة الدنيا ، ولما دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع ، فحاج إبراهيم الخليل فى ذلك ، وادعى لنفسه الربوبية .

بختنصر: وهو الذى كان سببا لفناء بنى إسرائيل .

المهدى: وهو الخليفة الكائن فى آخر الزمان قبل نزول عيسى بن مريم ويحكم بشريعة محمد ﷺ وينتشر فى عهده العدل والبركة ويتميز العالم إلى فيرقان مؤمن وكافر ويحارب الروم ويفتح القسطنطينية وروما ويحارب الدجال مع عيسى عليه السلام

وقبل أن نتطرق لموضوعنا وهو الخمسة الذين ملكوا الدنيا قديما نذكر نبذة مختصرة عن البداية الحقيقية للتاريخ الدين الإسلامى ، وحقيقة الكون ، وبيان بعض الموسوعات التى تتعرض لتاريخ الإسلامى وغير الإسلامى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

البداية الحقيقية لتاريخ الدين الإسلامى

تؤكد النصوص القرآنية والأحاديث النبوية أن الإسلام قديم ، وأسلم الكون حيث لا إنسان ، والإسلام قبل الإنسان ، يولد الإنسان فيجد الإسلام ملأ الكون ، خلفه وأمامه .

وقد أفرد الدكتور عبد الرحمن بارود فى مقدمة مذكرة له عن الكون المؤمن المسلم

الكون المؤمن :-

خلق الله عز وجل - بقدرته التى لا تحد ، كافة الخلائق ، فضلا منه وكرماً : ﴿الله خالق كل شىء﴾ .

الكون المؤمن فى القرآن الكريم :

﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفورا﴾ - ﴿سبح لله ما فى السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾

﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾.

﴿ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾.

﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون﴾

الكون المؤمن في الحديث الشريف:-

قال ﷺ : «أحد جبل يحبنا ونحبه» رواه البخارى .

« إني لأعرف حجرا بمكة كـان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن وقوله «فحن الجذع فأتاه ، فمسح يده عليه» رواه مسلم .

ودخل الرسول ﷺ حائطاً (أى بستان نخل) لرجل من الأنصار فيه جمل ؛ فلما رأى النبى ﷺ حن وذرفت عيناه . فأتاه رسول الله ﷺ فمسح دفراه (ما خلف أذنيه) فسكت . فقال : « من رب هذا الجمل ؟» لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : لي يارسول الله فقال : « أفلا تتقى الله في هذه البهيمة التى ملكك الله إياها؟فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه»أخرجه أبو داود وأحمد بن حنبل

وقال ﷺ : «إن نملة قرصت نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه : أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح؟» رواه مسلم .

دلالة هذه النصوص:

فهذه النصوص الشريفة من الآيات والأحاديث عمت وخصت .

عمت كل شيء فى الكون بلا استثناء حتى أن ذرة واحدة لم تشذ .

فكشفت تلك الحقيقة الكبيرة التى تفاجئ الكثيرين . وعدلت صورة الكائنات في الأذهان وبينت حقيقة العلاقة بينها وبين ربها عز جل .

فالكون مسلم مؤمن وكأنه مسجد كبير تتجاوب جنباته بالتسبيح والتعظيم والتمجيد للأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. كل بالأسلوب الذى حدده الله له .

النتيجة:

إذن التاريخ الإسلامى ، لا يبدأ فقط برسالة محمد ﷺ ٦١٣ ميلادية . ولكنه يبدأ منذ آلاف السنين قبل أن يخلق ؛ - ليس محمد ﷺ فحسب، ولكن قبل أن يخلق آدم عليه (السلام) بسنوات لا يعلم عددها إلا الله عز وجل .

الأمة فى القرآن

البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة :-

ولما كان الشيطان مسلطا على بنى آدم فكانوا عرضة للبعد عن دين الله ونظامه وشرعه فإن رحمة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت أن يتعهد أبناء آدم بالرسل والأنبياء من آن لآخر ليردوهم إلى ربهم الواحد ، ودينهم الأوحد وهو الإسلام .

والقرآن الكريم يؤكد أن الرسل جميعا دعوا إلى دين واحد وهو الإسلام .

قال تعالى عن نوح ﷺ : ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ .

﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾

﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾.

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾

وقال تعالى عن لوط عليه السلام : ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾.

وعن يوسف عليه السلام : ﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً والحقنى بالصالحين﴾.

وعن سليمان عليه السلام : ﴿قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ﴾.

وعن عيسى عليه السلام : ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾

إن التاريخ الإسلامى هو تاريخ هذا الدين الواحد وهو الإسلام :

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ .وهوتاريخ تطبيق هذا الدين .

تاريخ تطبيق شريعة الله إلى أبناء آدم عليه السلام .

تاريخ الصراع بين الحق والباطل بين حزب الله وحزب الشيطان .

تاريخ انتصار الرسل والدعاة في دعوتهم إلى الله عز وجل ،واندحار موجات الكفر وأهله .

تاريخ أمم عرفت أوامر الله ونواهيه ولم تلتزم بها فكان عاقبة أمرها خسرا .

تاريخ رجال لا يخشون فى الله لومة لائم، وعلماء جندوا علمهم لله .

وآخرون عتوا عن أمر ربهم ، وباعوا أنفسهم للشيطان ، وجعلوا دين الله مطية لأهوائهم ورغباتهم ، فطغوا وتجبروا وظنوا أنهم قادرون على كل شىء .

ومن هنا تأتى العلاقة بين التاريخ والدين ، وهى علاقة وثيقة .

إن التاريخ الإسلامى يروى لنا تاريخ العقيدة الصحيحة، جزاء من يلتزم بها ويقاتل من أجلها، وجزاء من يعرض عنها ، ويصرف الناس عنها .

إن التاريخ الإسلامى هو الصورة التطبيقية للإسلام، وهو الوثيقة الصحيحة على نجاح الإسلام كمنهج للحياة صالح لكل زمان ومكان .

ولا يستطيع أن يفهم التاريخ الإسلامى ، أو يكتب فيه ، أو يدرسه دراسة صحيحة من هو جاهل بالإسلام وشريعته وعقيدته .

الموسوعات التاريخية التى تعرض

للتاريخ الإسلامى وغير الإسلامى

معظم كتاب هذه الموسوعات التاريخية والمناهج التى تعرض تاريخ الإسلام بمعزل عن المنهج الإسلامى الذى يقوم على القرآن والسنة ينطلقون من منطلقات فكرية ، معادية للاتجاه الدينى عموماً ، وللمعتقد الإسلامى على وجه الخصوص ، وهى :

(١) إنكار جود الله عز جل .

(٢) تجاهل أبوة آدم عليه السلام

(٣) هدم الدين الإسلامى والزعم أنه من اختراع العقل البشرى ، ويدخل فى ذلك التشكيك في كون الإسلام نظام صالح لكل زمان ومكان .

(٤) تشويه وتزييف تاريخ الأمة المسلمة ، ومن ذلك :

(أ) تشويه تاريخ الرسل والأنبياء عليهم السلام

(ب)تشويه تاريخ الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، والطعن فى عدالتهم

(ج) تشويه تاريخ الدعاة المجاهدين ، والحكام الصالحين .

الموسوعات التاريخية التى تتميز بالمنهج غير الإسلامى :

تاريخ العالم ، تأليف عدد من أساتذة الجامعات ، أشرف على إعداده جون . أ . هامرتن .

معالم تاريخ الإنسانية ، تأليف عدد من أساتذة الجامعات ، أشرف على إعداده هـ . ج . ولز .

موجز تاريخ العالم ، تأليف هـ . ج . ولز .

موسوعة تاريخ العالم ، إعداد لانجر .

الموسوعة الأثرية العالمية ، تأليف لينارد كوتريل .

الملوك المؤمنون

١- ذو القرنين

٢- سليمان عليه السلام

٣-المهدي

١ - ذى القرنين

قال الله تعالى :

﴿ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً. إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً . فأتبع سبباً . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً . ثم أتبع سببا . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً . كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً . ثم أتبع سببا . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا. قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً﴾ .

من هو ذى القرنين؟

الصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين ، وقيل : كان نبياً . وقيل : رسولا . وأغرب من قال : ملكاً من الملائكة .

و قد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عن ابن عباس قال : كان ذو القرنين ملكا صالحاً رضى الله عنه وأثنى عليه في كتابه ، وكان منصوراً.

وكان الخضر وزيره . وذكر أن الخضر عليه السلام ، كان على مقدمة جيشه ، وكان عنده بمنزلة المشاور الذى هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم. . . والله أعلم.

سبب تسميته بذى القرنين:

قال ابن كثير : وقيل : لأنه بلغ قرنى الشمس غرباً وشرقاً ، وملك ما بينهما من الأرض ، وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهرى .

ابن كثير يجزم أن ذا القرنين هو الإسكندر وأنه ليس الإسكندر المقدونى بانى الإسكندرية فتنبه لما وقع فى تفسيرى الفخر الرازى والألوسى وغيرهما فى أنه هو المقدونى .

عن قتادة قال : الإسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة ، وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام .

فأما ذو القرنين الثانى فهو إسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومى بن لنطى بن يونان بن يافث بن يونة بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومى بن الأصفر بن يقز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام .

كذا نسبه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه ، المقدونى اليونانى المصرى بانى إسكندرية الذى يؤرخ بأيامه الروم .

وكان متأخراً عن الأول بدهر طويل ، كان هذا قبل المسيح بنحوٍ من ثلاثمائة سنة .

وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره، وهو الذى قتل دارا بن دارا ، وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

وإنما نبهنا عليه لأن كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد . وأن المذكور في القرآن هو الذى كان أرسطاطاليس وزيره . فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض .

فإن الأول كان عبداً صالحاً مؤمناً وملكا عادلا وكان وزيره الخضر ، وقد كان نبياً على ما قررناه قبل هذا .

وأما الثانى فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا ، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفى سنة ، فأين هذا من هذا ؟

لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبى لا يعرف حقائق الأموراً . هـ.

سبب نزول الآيات :

قال تعالى : ﴿ويسألونك عن ذى القرنين﴾

كان سببه أن قريشاً سألوا اليهود عن شىء يمتحنون به علم رسول الله ﷺ فقالوا لهم : سلوه عن رجل طاف فى الأرض، وعن فتية خرجوا لا يُدرى ما فعلوا .

فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين . ولهذا قال : ﴿ قل سأتلو عليكم منه ذكراً ﴾ أى من خبره وشأنه أى فقال :

﴿إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سبباً ﴾

أى وسعنا مملكته فى البلاد وأعطيناه من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة .

كيف بلغ المشرق والمغرب:

عن حبيب بن حماد قال : كنت عند على بن أبى طالب وسأله رجل عن ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب؟

فقال له : سخر له السحاب ، ومدت له الأسباب، وبسط له فى النور، وقال : أزيدك ؟ فسكت الرجل وسكت على رضى الله عنه .

عن الحسن قال : كان ذو القرنين ملك بعد النمروذ، وكان من قصته أنه كان رجلا مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب، ومد الله له فى الأجل، ونصره حتى قهر البلاد واحتوى على الأموال، وفتح المدائن وقتل الرجال وجال فى البلاد والقلاع فسار حتى أتى المشرق والمغرب فذلك قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً﴾ أى خبراً: ﴿إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سبباً﴾ أى علما بطلب أسباب المنازل .

رحلة النرب واستعداد ذى القرنين للفتوح وتسليحه بالعلم:

﴿ إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً . فأتبع سبباً . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً . ثم أتبع سببا ﴾

قال ابن عباس : ﴿وآتيناه من كل شىء سببا﴾ يعنى علما .

وقال قتادة : معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها .

وقال عبد الرحمن بن ريد بن أسلم : يعنى تعليم الألسنة وكان لا يغزو قوما إلا حدثهم بلغتهم .

والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده فى المملكة وغيرها ، فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه ويعينه على أهل الإقليم الآخر .

وقوله : ﴿فأتبع سببا﴾ أى طريقا : ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ يعنى من الأرض . . . انتهى إلى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ، ووقف على حافة البحر المحيط الغربى .

وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته

﴿تغرب فى عين حمئة﴾ والمراد بها البحر فى نظره ، فإن من كان فى البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحروتغرب فيه ، ولهذا قال : ﴿وجدها﴾ أى فى نظره ، ولم يقل : فإذا هى تغرب فى عين حمئة ، أى ذات حمأة .

قال كعب الأحبار : وهو الطين الأسود . وقرأه بعضهم «حامية» . فقيل : يرجع إلى الأول . وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها .

ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشى بجيوشه فى ظلمات مدداً طويلة فقد أخطأ وأبعد النجعة وقال ما يخالف العقل والنقل .

طلب ذى القرنين عين الحياة:

وقد ذكر ابن عساكر عن زين العابدين خبراً مطولا جداً فيه

أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له : زنافيل ، فسأله ذو القرنين هل تعلم فى الأرض عينا يقال لها عين الحياة ؟

فذكر له صفة مكانها ، فذهب ذو القرنين فى طلبها وجعل الخضر على مقدمته . . . فانتهى الخضر إليها فى واد فى أرض الظلمات فشرب منها ، ولم يهتد ذو القرنين إليها .

وذكر اجتماع ذى القرنين ببعض الملائكة فى قصر هناك وأنه أعطاه حجراً فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه فوضعوه فى كفة ميزان وجعلوا فى مقابلته ألف حجر مثله فوزنها ؛ حتى سأل الخضر فوضع قباله حجراً وحمل عليه حفنة من تراب فرجح به .

وقال : هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى بالتراب فسجد له العلماء تكريما وإعظاماً ، والله أعلم .

ثم ذكر تعالى أنه حكم ذا القرنين فى أهل تلك الناحية ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكراً﴾

أى فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة ، وبدأ بعذاب الدنيا لأنه أزجر عند الكافر .

﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ فبدأ بالأهم وهو ثواب الآخرة وعطف عليه الإحسان منه إليه وهذا هو العدل والعلم والإيمان .

رحلة المشرق:

﴿ ثم أتبع سببا.حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل

لهم من دونها ستراً . كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً ﴾

قال تعالى : ﴿ثم أتبع سببا﴾ أى سلك طريقاً راجعا من المغرب إلى المشرق

فيقال : إنه رجع فى ثنتى عشرة سنة .

﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾

أى ليس لهم بيوت ولا أكنان يستترون بها من حر الشمس .

قال كثير من العلماء : ولكن كانوا يأوون إذا اشتد الحر إلى أسراب اتخذوها فى الأرض شبه القبور .

قال الله تعالى : ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾

أى ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكلؤه بحراستنا فى مسيره ذلك كله من مغارب الأرض إلى مشارقها .

وقد روى عن عبيد بن عمير أن ذا القرنين حج ماشيا . فلما سمع إبراهيم الخليل بقدومه تلقاه . فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا . ويقال : إنه جىء بفرس ليركبها فقال : لا أركب فى بلد فيه الخليل . فسخر الله له السحاب ، وبشره إبراهيم بذلك ، فكانت تحمله إذا أراد .

بناء السد:

قال تعالى : ﴿ ثم أتبع سببا . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً . فما اسطاعوا أن

يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً﴾

وقوله تعالى : ﴿ثم أتبع سببا . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا﴾ يعنى غشما .

يقال : إنهم هم الترك أبناء عم يأجوج ومأجوج ، فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم ، وأفسدوا فى بلادهم وقطعوا السبل عليهم ، وبذلوا له حملا وهو الخراج على أن يقيم بينهما حاجزاً يمنعهم من الوصول إليهم .

فامتنع عن أخذ الخراج اكتفاء بما أعطاه الله من الأموال الجزيلة : ﴿ قال ما مكنى فيه ربى خير ﴾.

ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالا وآلات ليبنى سداً ، وهو الردم بين الجبلين . . وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهما . وبقية ذلك بحار مغرقة وجبال شاهقة .

فبناه كما ذكر تعالى : من الحديد والقطر ، وهو النحاس المذاب ، فجعل بدل اللبن حديداً ، وبدل الطين نحاسا .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ أى يعلوا عليه بسلالم ولا غيرها : ﴿ وما استطاعوا له نقبا﴾ أى بمعاول ولا فؤوس ولا غيرها ، فقابل الأسهل بالأسهل والأشد بالأشد : ﴿ قال هذا رحمة من ربى﴾

أى قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم فى تلك المحلة

إشارة من ذى القرنين بخروج يأجوج ومأجوج آخر الزمان :

﴿ فإذا جاء وعد ربى ﴾أى الوقت الذى قدر خروجهم على الناس فى آخر

الزمان : ﴿ جعله دكاء﴾ أى مساوياً للأرض ولا بد من كون هذا .

ولهذا قال : ﴿ وكان وعد ربى حقا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق﴾ الآية : وقال ههنا : ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض﴾ يوم فتح السد على الصحيح ، ﴿ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً ﴾

وفـــاتـه:

روى عن كعب الأحبار أنه قال لمعاوية : إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا مات أن تصنع طعاماً وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهن وتأذن لهن فيه ، إلا من كانت ثكلى فلا تأكل منه شيئاً

فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه ، فقالت لهن : سبحان الله !كلكن ثكالى؟ فقلن : أى والله ما منا إلا من أثكلت ، فكان ذلك تسلية لأمه .

قال ابن عساكر : وبلغنى من وجه آخر أنه عاش ستاً وثلاثين سنة .

وقيل : كان عمره ثنتين وثلاثين سنة ، وكان بعد داود بسبعمائة سنة وأربعين سنة . وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة وإحدى وثمانين سنة . وكان ملكه ست عشرة سنة . وهذا الذى ذكره ينطبق على إسكندر الثانى لا الأول .

وقد خلط فى أول الترجمة وآخرها بينهما ، والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداء بجماعة من الحفاظ والله أعلم .

وممن جعلهما واحداً الإمام عبد الملك بن هشام راوى السيرة .

وقد أنكر ذلك عليه الحافظ أبو القاسم السهيلى رحمه الله إنكاراً بليغاً ورد قوله رداً شنيعاً وفرق بينهما تفريقاً جيداً كما قدمناه . قال : ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذى القرنين تشبهاً بالأول والله أعلم .

أسئلة عن يأجوج ومأجوج

من هم؟

هم من ذرية آدم بلا خـلاف نعلمـه ، ثم الدليل على ذلك مـا ثبت فى الصحيحين عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تـعالى يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار من ذريتك ، فيقول : يا رب وما بعث النار؟

فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ».

قالوا : يا رسول الله أينا ذلك الواحد ؟

فقال رسول الله ﷺ : «أبشروا ، فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفا»

وفى رواية فقال : « أبشروا فإن فيكم أمتين ما كانتا فى شىء إلا كثرتاه ، أى غلبتاه كثرة ».

وهذا يدل على كثرتهم وأنهم أضعاف الناس مراراً عديدة .

وفى الحديث أن نوحاً عليه السلام ولد له ثلاثة وهم سام وحام ويافث فسام أبو العرب وحام أبو السودان ويافث أبو الترك

فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك

وقيل : إن الترك سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد وألجأ يأجوج ومأجوج إلى ورائه فبقيت منهم طائفة من ورائه فلهذا قيل لهم الترك .

ماوصفهم وشكلهم ؟

هم بشر مثلنا على أشكالنا وصفاتنا

والصحيح أنهم من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم ، وقد قال النبى ﷺ : « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن» . وهذا فيصل فى هذا الباب وغيره .

وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفاً، فإن صح في خبر قلنا به، وإلا فلا نرده إذ يحتمله العقل، والنقل أيضاً قد أرشد إليه والله أعلم.

ماوصف السد؟

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس ، وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم .

قال البخارى : وقال رجل للنبى ﷺ : رأيت السد ، قال : «كيف رأيته؟» قال مثل البرد المحبر ، فقال : « رأيته هكذا ». ذكره البخارى معلقا بصيغة الجزم، ولم أره مسنداً من وجه متصل أرتضيه ، غير أن ابن جرير رواه في تفسيره مرسلا فقال : حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلا قال : يارسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج ، قال : «انعته لى» قال : كالبرد المحبر طريقه سوداء وطريقة حمراء، قال: «قد رأيته» .

وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلا من جهته ، وكتب لهم كتبا إلى الملك ، يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينتهوا إلى السد فيكشفوا عن خبره وينظروا كيف بناه ذو القرنين وعلى أى صفة ، فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه بابا عظيما وعليه أقفال وأنه بناء محكم شاهق منيف جداً ، وأن بقية

اللبن والحديد والآلات في برج هناك ، وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المتاخمة لتلك البلاد ، ومحلته فى شرقى الأرض فى جهة الشمال في زاوية الأرض الشرقية الشمالية ، ويقال : إن بلادهم متسعة جداً وأنهم يقتاتون بأصناف من المعايش من حراثة وزراعة واصطياد من البر ومن البحر ، وهم أمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم .

الفوائد والآثار الإيمانية :-

١ - قال القاسمي (١١ / ٨٧ - ٩٠) فى ذكر فوائد القصة وقد جزم أنه الإسكندر وهو خلاف ما رجحه ابن كثير . ما ملخصه :-

* فمن فوائدها : الاعتبار برفع الله بعض الناس درجات على بعض ، ورزقه من يشاء بغير حساب ملكاً ومالاً ، لما له من خفى الحكم ، وباهر القدرة .

* ومنها : الإشارة إلى القيام بالأسباب ، والجرى وراء سنة الله فى الكون من الجد والعمل ، وأن على قدر بذل الجهد يكون الفوز والظفر ، فإن ما قص عن الإسكندر [ذى القرنين] من ضربه فى الأرض إلى مغرب الشمس ومطلعها وشمالها ، وعدم فتوره ووجدانه اللذة فى مواصلة الأسفار وتجشم الأخطار ، وركوب الأوعار والبحار ، ثم إحرازه ذلك الفخار الذى لا يشق له غبار أكبر عبرة لأولى الأبصار .

* ومنها : تنشيط الهمم لرفع العوائق ، وأنه ما تيسرت الأسباب ، فلا ينبغى أن يعد ركوب البحر ولا اجتياز القفر عذراً فى الخمول والرضا بالدون ، بل ينبغى أن ينشط .

* ومنها : أن من قدر على أعدائه وتمكن منهم ، فلا ينبغى له أن تسكره لذة السلطة بسوقهم بعصا الإذلال ، وتجريعهم غصص الاستعباد والنكال ، بل يعامل المحسن بإحسانه ، والمسىء بقدر إساءته ، فإن ما حكى عن

الإسكندر [ذى القرنين] من قوله : ﴿قال أما من ظلم﴾ إلى آخره نهاية فى العدل وغاية الإنصاف .

* ومنها : أن على الملك التعفف عن أموال رعيته ، والزهد فى أخذ الأجرة فى مقابلة عمل يأتيه ، ما أغناه الله عنه ، ففى ذلك حفظ كرامته وزيادة الشغف بمحبته .

* ومنها : تعريف الغير ثمرة العمل المهم ليعرفوا قدره ، فيظهروا شكره، ولذا قال : ﴿هذا رحمة من ربى﴾ [الكهف : ٩٨] .

* ومنها : الإعلام بالدور الأخروى وانقضاء هذا الطور الأولى ، لتبقى النفوس طامحة إلى ذلك العالم الباقى والنعيم السرمدى ولذا قال : ﴿فإذا جاء وعد ربى﴾ .

* ومنها : الاعتبار بتخليد جميل الثناء، وجليل الآثار ، فإن من أنعم النظر فيما قص عنه فى هذه الآيات الكريمة ، يتضح له جلياً حسن سجاياه وسمو مزاياه من الشجاعة وعلو الهمة والعفة والعدل ، ودأبه على توطيد الأمن وإثابة المحسنين وتأديبه للظالمين والإحسان إلى النوع البشرى ، لا سيما فى زمان كان فيه أكثر عوائد وأخلاق الأمم المتمدنة وغير المتمدنة وحشية فاسدة .

٢ - النبى سليمان ﷺ

ينتهى نسبه إلى إبراهيم الخليل - عليه السلام- وكانوا جميعا ينزلون بالأرض التى بارك الله فيها للعالمين (بيت المقدس) والتى كان ينزل فيها آباؤهم وأجدادهم يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام.

وقد مكن الله له فأعطاه ملكا لم ولن ينبغى لأحد من بعده .

وسليمان عليه السلام قامت على عهده وعهد أبيه دولة إسلامية عاصمتها بيت المقدس ، وحدودها من المؤكد كانت تشمل بلاد الشام الحالية (سورية وفلسطين) وتشمل الجزيرة العربية كلها.

سيرة سليمان عليه السلام

من هو سليمان عليه السلام ؟ إلى من ينتسب ؟ وأين كان ينزل ؟ ومن أين أتى؟ وما مدى التمكين الذى تحقق له في أرض الله ؟ وهل قامت له دولة؟ وما هى الحدود التى كانت عليها ؟ وهل يمكن تحديد زمن تقريبى لها ؟ وهل يمكن التعرف على جوانب من تاريخ تلك الدولة الفكرى والعقدى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى ؟ وما هى طبيعة العلاقة التى كانت تربط مملكة سليمان عليه السلام بدولة سبأ؟

ما هى مصادر ومراجع معلوماتنا عن هذا النبى الكريم وقومه ؟ ما هى الاستفادة التى يمكن أن تعود على الدارس لتاريخ سليمان عليه السلام وقومه؟

وسنحاول بإذن الله - اعتمادا على الله ثم على ما بين أيدينا من مصادر صحيحة الإجابة على هذه الأسئلة بقدر الاستطاعة ، دون أن نتطرق إلى محاولة إدراج أى من الافتراضات التى لا تعتمد على وثائق صحيحة توفيرا

لجهد القارئ والباحث، حتى ينصرف بجهده إلى ما يفيده فى دنياه وأخراه .

موافقة حكمهما حكم الله تعالى :

﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين. ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكمًا وعلمًا﴾

وقد ذكر شريح القاضي أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فنفشت فيه غنم قوم آخرين ، أى رعته بالليل فأكلت شجره بالكلية ، فتحاكموا إلى داود عليه السلام فحكم لأصحاب الكرم بقيمته .

فلما خرجوا على سليمان قال : بم حكم لكم نبى الله؟ فقالوا : بكذا وكذا، فقال : أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم فيستغلونها نتاجًا ودرًا حتى يصلح أصحاب الغنم كرم أولئك ويردوه إلى ما كان عليه ، ثم يتسلموا غنمهم ، فبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به .

وقريب من هذا ما ثبت فى الصحيحين، عن أبى هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : «بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ ابن إحداهما فتنازعتا فى الآخر فقالت الكبرى : إنما ذهب بابنك . وقالت الصغرى : بل إنما ذهب بابنك . فتحاكمتا إلى داود فحكم به للكبرى . فخرجتا على سليمان فقال: ائتونى بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه . فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنها . فقضى به لها».

ولعل كلا من الحكمين كان سائغًا فى شريعتهم ، ولكن ما قاله سليمان أرجح .

ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه إياه ومدح بعد ذلك أباه فقال :

﴿ وكلا آتينا حكمًا وعلمًا وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا

فاعلين. وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾.

ثم قال : ﴿ ولسليمان الريح عاصفة ﴾ .

أى وسخرنا لسليمان الريح عاصفة : ﴿تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين. ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين﴾.

وقال فى سورة « ص » : ﴿ فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاءً حيث أصاب. والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أوأمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾

النبوة والعلم ميراث سليمان:

قال الله تعالى : ﴿ وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين ﴾

وهذا هو إعلان الافتتاح فى بداية القصة وابتداء بأعظم النعم عليه أى ورثه فى النبوة والملك ، وليس المراد ورثه فى المال ، لأنه قد كان له بنون غيره، فما كان ليخص بالمال دونهم .

فائدة:

قد ثبت فى الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : «لا نورث ما تركنا صدقة » وفى لفظ : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم ، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج لا يخصون بها أقرباءهم ؛ لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك كما هى عند الذى أرسلهم واصطفاهم وفضلهم .

الخارقة الأولى :

وقال : ﴿ يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ﴾ .

يعنى أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها .

فعن أبى مالك ، قال: مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه : أتدرون ما يقول؟ قالوا : وما يقول يا نبى الله ؟ قال : يخطبها إلى نفسه ويقول زوجينى أسكنك أى غرف دمشق شئت ! قال سليمان عليه السلام : لأن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب . رواه ابن عساكر .

عرض لجيوش سليمان :

فهذا هو موكب سليمان محشوداً يتألف من سائر صنوف المخلوقات ﴿فهم يوزعون﴾ لا يتفرقون فتشيع فيهم الفوضى فهم منظمين .

والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات : ﴿وأوتينا من كل شىء ﴾.

أى من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات . . . والجنود والجيوش . . . والجماعات من الجن والإنس . . . والطيور والوحوش . . . والشياطين والسارحات . . . والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات. ثم قال : ﴿ إن هذا لهو الفضل المبين ﴾ .

أى من بارئ البريات وخالق الأرض والسموات، كما قال تعالى : ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون. حتى إذا أتوا على

واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكًا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت عليّ وعلى والدى وأن أعمل صالحًا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ .

ركب سليمان يومًا فى جيشه جميعه من الجن والإنس والطير . . . فالجن والإنس يسيرون معه . . . والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره .

وعلى كل أن هذه الجيوش الثلاثة وزعه إلى نقباء يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذى يسير فيه ولا يتأخر عنه .

خارقتان فى قصة النملة :

خارقة إدراك سليمان لتحذير النملة لقومها ، وخارقة إدراك النملة أن هذا سليمان وجنوده .

قال تعالى : ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ [النمل : ١٨] .

فأمرت ﴿ ادخلوا مساكنكم﴾ . . . وحذرت : ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ . . . واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور .

والمقصود : أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لأمتها من الرأى السديد والأمر الحميد ، وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره .

نعرف نعمة الشكر ونتقبلها ونتحدث بها:

ولهذا قال : ﴿ قال رب أوزعنى ﴾ .

أى ألهمنى وأرشدنى : ﴿ أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى

وأن أعمل صالحًا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ .

فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ما خصه به من المزية على غيره ، وأن ييسر عليه العمل الصالح وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين، وقد استجاب الله تعالى له .

والمراد بوالديه : داود عليه السلام وأمه، وكانت من العابدات الصالحات كما قال جابر، عن النبي ﷺ قال: «قالت أم سليمان بن داود : يا بني لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة». رواه ابن ماجه بنحوه .

اليقظة والدقة والحزم في قصة الهدهد:

فهو لم يغفل عن غيبة الجندي ويتضح أنه غائب بغير إذن فيأخذ بالحزم كي لا تكون فوضى

وقال الله تعالى : ﴿ وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين.لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين.فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبإ يقين.إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم.وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون.ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ماتخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم.قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون.قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم.إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم.ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين. قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون.قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأسٍ شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين.قالت إن الملوك

إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون. وإنى مُرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون. فلما جاء سُليمان قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون. ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾

وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون يقومون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالتوبة كما هى عادة الجنود مع الملوك .

وكانت وظيفة الهدهد على ما ذكره ابن عباس وغيره : أنهم كانوا إذا أعوزوا الماء فى القفار فى حال الأسفار يجيء فينظر لهم بهذه البقاع من ماء . . وفيه من القوة التى أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض ، فإذا دلهم عليه حفروا عنه واستنبطوه وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم .

فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقده ولم يجده فى موضعه من محل خدمته : ﴿ فقال ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. لأعذبنه عذابا شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين ﴾ . أى بحجة تنجيه من هذه الورطة .

مفاجأة الهدهد لسليمان :

قال الله تعالى : ﴿ فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾ .

فيبدأ حديثه بمفاجأة كبيرة تغفر له غيابه فيصغى له سليمان .

﴿ فقال ﴾ لسليمان ﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾ أى اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وجئتك من سبأ بنبإ يقين ﴾ أى بخبر صادق .

﴿ إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴾

يذكر ما كان عليه ملوك سبأ فى بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة

المتوجين ، وكان الملك قد آل فى ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم .

وقوله ﴿وأوتيت من كل شيء﴾،أى مما من شأنه أن تؤتاه الملوك ﴿ولها عرش عظيم﴾ . يعنى سرير مملكتها كان مزخرفًا بأنواع الجواهر واللآلئ والذهب والحلى الباهر .

الهدهد العجيب الذى يعرض النبأ ويحلله:

ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله ، وإضلال الشيطان لهم وصده إياهم عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له . . . الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون ، أى يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات : ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ .

أى له العرش العظيم الذى لا أعظم منه فى المخلوقات .

الهدهد سفير لسليمان:

فعند ذلك بعث سليمان عليه السلام كتابه يتضمن . دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله . والإنابة والإذعان إلى الدخول فى الخضوع لملكه وسلطانه ولهذا قال لهم : ﴿ألا تعلوا عليّ وأتونى مسلمين﴾ .

فلما جاءها الكتاب مع الطير ، ومن ثم اتخذ الناس البطائق .

ولكن أين الثريا من الثرى ، تلك البطاقة كانت مع سائر سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له .

فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها ، وهى فى خلوة لها فألقاه إليها ، ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من

جوابها عن كتابها .

مشاورة الملكة لوزرائها:

جمعت الملكة أمراءها ووزراءها ، وأكابر دولتها إلى مشورتها .

﴿ قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إليّ كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا عليّ وأتونى مسلمين . قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون . قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد ﴾ .

أى لنا قوة وقدرة على الجلاد والقتال ومقاومة الأبطال ، فإن أردت منا ذلك فإنا عليه من القادرين ومع هذا : ﴿الأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين﴾ .

فبذلوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة ، وفوضوا إليها فى ذلك الأمر لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم .

مصانعتها لسليمان بالهدية والود:

فكان رأيها أتم وأرشد من رأيهم ، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع .

﴿ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴾ .

تقول برأيها السديد : إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إليّ .

﴿ وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ .

أرادت أن تصانع عن نفسها ، وأهل مملكتها بهدية ترسلها .

رفض سليمان الهدية وتهديده إياهم:

ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفاً ولا عدلاً، لأنهم كافرون، وهو وجنوده عليهم قادرون؛ ولهذا: ﴿ لما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة ، ذكرها المفسرون .

ثم قال لرسولها إليه ووافدها الذى قدم عليه والناس حاضرون يسمعون :

﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾ .

يقول ارجع بهديتك التى قدمت بها إلى من قد مَنّ بها ، فإن عندى مما قد أنعم الله عليّ وأسداه، إليّ من الأموال والتحف والرجال ما هو أضعاف هذا وخير من هذا الذى أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه .

﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾ .

أى فلأبعثن إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم، ولأخرجنهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم : ﴿أذلة وهم صاغرون ﴾ عليهم الصغار والعار والدمار .

فلما بلغهم ذلك عن نبى الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة ، فبادروا إلى إجابته فى تلك الساعة ، وأقبلوا فى صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين .

المفاجأة :

فلما سمع بقدومهم عليه ووفودهم إليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجان ما قصه الله عنه فى القرآن :

﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم. قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون. فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قومٍ كافرين. قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجةً وكشفت عن ساقيها قال إنه صرحٌ ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾

عرض الجن لقواهم في خدمة سليمان:

لما طلب سليمان من الجان أن يحضروا له عرش بلقيس، وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها ، قبل قدومها عليه .

﴿ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ .

يعني قبل أن ينقضي مجلس حكمك، وكان فيما يقال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني إسرائيل وما لهم من الأشغال.

﴿ وإني عليه لقوي أمين﴾ أي وإني لذو قدرة على إحضاره إليك، وأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك.

﴿قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾ المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان .

قال: وقد قيل فيه قول رابع وهو: جبريل : ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ .

قيل: معناه قبل أن تبعث رسولاً إلى أقصى ما ينتهى إليه طرفك من الأرض ثم يعود إليك .

وقيل: قبل أن يصل إليك أبعد من تراه من الناس .

وقيل: قبل أن يكل طرفك إذا أقدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك .

وقيل: قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغضمته وهذا أقرب ما قيل .

﴿ فلما رآه مستقرا عنده ﴾ أى فلما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده فى هذه المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس فى طرفة عين .

﴿ قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ﴾ .

أى هذا من فضل الله عليّ وفضله على عبيده ليختبرهم على الشكر أو خلافه: ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾، أى إنما يعود نفع ذلك عليه .

﴿ ومن كفر فإن ربى غنى كريم ﴾ أى غنى عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين .

تنكير العرش :

ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير حلى هذا العرش وينكر لها؛ ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال : ﴿ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون. فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنما هو ﴾ .

وهذا من فطنتها وغزارة فهمها؛ لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن .

ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب .

قال الله تعالى إخباراً عن سليمان وقومه : ﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين﴾

أى ومنعها عبادة الشمس التى كانت تسجد لها هى وقومها من دون الله اتباعًا لدين آبائهم وأسلافهم لا لدليل قادهم إلى ذلك ولا هداهم على ذلك .

وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج وعمل فى ممره ماء ، وجعل عليه سقفًا من زجاج ، وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء .وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه .

﴿فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ .

إلا أن سليمان قيل إنه لما أراد إزالته حين عزم على تزوجها . سأل الإنس عن زواله فذكروا له الموسى ، فامتنعت من ذلك . فسأل الجان فصنعوا له النورة ووضعوا له الحمام . فكان أول من دخل الحمام ، فلما وجد مسه قال أوه من عذاب أوه أوه قبل ألا ينفع أوه .

وقد ذكر الثعلبى وغيره : أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وردها إليه .

وكان يزورها فى كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط . وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن . غمدان وسالحين وبيتون . فالله أعلم أ. هـ .

عرض لسيرة سليمان فى سورة (ص)

وقال تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب. إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد. فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب. ردوها عليّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق. ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب. قال رب اغفر لى وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب. فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص. وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ .

يذكر تعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام ثم أثنى الله عليه فقال : ﴿نعم العبد إنه أواب﴾.

ثم ذكر تعالى ما كان من أمره فى الخيل الصافنات . وهى التى تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة ، الجياد وهى المضمرة السراع . ﴿فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ﴾ يعنى الشمس. وقيل الخيل على ما سنذكره من القولين :

﴿ ردوها عليّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق ﴾ .

فقالوا: اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس .

والذى يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمدًا من غير عذر ، اللهم إلا أن يقال إنه كان سائغًا فى شريعتهم ، فأخر الصلاة لأجل أسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك .

وقال بعض العلماء لما ترك الخيل لله عوضه الله عنها بما هو خير له منها، وهو الريح التى كانت غدوها شهر ورواحها شهر، كما سيأتى الكلام عليها، كما قال الإمام أحمد عن أبى قتادة وأبى الدهماء، وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا : أتينا على رجل من أهل البادية .

فقال البدوى : أخذ بيدى رسول الله فجعل يعلمنى مما علمه الله عز وجل، وقال : « إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله عز وجل إلا أعطاك الله خيراً منه».

وقوله تعالى : ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾.

قال ابن كثير وغيره من المفسرين :

ها هنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات ، وفى كثير منها نكارة شديدة ، وقد نبهنا على ذلك فى كتابنا التفسير، واقتصرناها هنا على مجرد التلاوة .

ومضمون ما ذكره أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يومًا ثم عاد إليه، ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس نبناه بناء محكمًا .

وقد قدمنا أنه جدده وأن أول من جعله مسجداً إسرائيل عليه السلام.

قال الإمام أحمد والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم . عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال :

قال رسول الله ﷺ : « إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلالاً ثلاثًا، فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة : سأله حكمًا يصادف حكمه، فأعطاه إياه ... وسأله ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه . .. وسأله أيما خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه . .. فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها » .

الخوارق التى خصها الله لسليمان

تسخير الرياح:

قال تعالى: ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهرٌ ورواحها شهرٌ وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير.يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور ﴾

قال بعض العلماء : لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح التى هى أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها.

﴿ تجرى بأمره رخاء حيث أصاب﴾ : أى حيث أراد من أى البلاد.

كان له بساط مركب من أخشاب. . . بحيث أنه يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من الإنس والجن ، وغير ذلك من الحيوانات والطيور .

فإذا أراد سفراً أو مستنزهًا أو قتال ملك أو أعداء من أى بلاد الله شاء، فإذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط، أمر الريح فدخلت تحته فرفعته فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به فإذا أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعته فى أى مكان شاء، بحيث أنه كان يرتحل فى أول النهار من بيت المقدس تغدو به الريح فتضعه بإصطخر مسيرة شهر فيقيم هناك إلى آخر النهار، ثم يروح من آخره فترده إلى بيت المقدس.

قال الحسن البصرى : كان يغدو من دمشق فينزل بإصطخر فيتغذى بها ويذهب رائحا منها فيبيت بكابل وبين دمشق وبين إصطخر مسيرة شهر وبين

إصطخر وكابل مسيرة شهر .

قال ابن كثير : قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان أن إصطخر بنتها الجان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديمًا ، وكذلك غيرها من بلدان شتى كتدمر وبيت المقدس وباب جيرون وباب البريد اللذان بدمشق على أحد الأقوال أ. هـ

وأما القطر فقال ابن عباس : هو النحاس .

قال قتادة : وكانت باليمن أنبعها الله له .

قال السدى : ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج إليه للبنايات وغيرها

تسخير الجن والأعمال التى تقوم بها:

قوله : ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴾ [سبأ : ١٢]

أى سخر الله له من الجن عمالاً يعملون له ما يشاء لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته . ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به .

﴿يعملون له ما يشاء من محاريب ﴾ وهى الأماكن الحسنة وصدور المجالس

﴿وتماثيل﴾ وهى الصور فى الجدران، وكان هذا سائغًا فى شريعتهم وملتهم .

﴿وجفان كالجواب﴾ قال ابن عباس : الجفنة كالجوبة من الأرض ، وعنه كالحياض، جمع جابية وهى الحوض الذى يجبى فيه الماء .

قال الأعشى :

تروح على آل المحلّق جفنة   كجباية الشيخ العراقى تفهق

فقال عكرمة : أثافيها منها، يعنى أنهن ثوابت لا يلزلن عن أماكنهن . ولما كان هذا بصدد إطعام الطعام والإحسان إلى الخلق من إنسان وحيوان قال تعالى : ﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور﴾ . [سبأ : ١٣]

تسخير الشياطين والأعمال التى تقوم بها:

وقال تعالى : ﴿ والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد﴾

منهم من قد سخره فى البناء . . . ومنهم من يأمره بالغوص فى الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللآلئ وغير ذلك مما لا يوجد إلا هنالك .

وقوله : ﴿وآخرين مقرنين فى الأصفاد﴾ أى قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين . . فى الأصفاد وهى القيود .

وهذا كله من جملة ما هيأه الله وسخره له من أشياء، التى هى من تمام الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده ، ولم يكن أيضًا لمن كان قبله .

نساء سليمان:

وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة سبعمائة بمهور وثلاثمائة سرارى . وقيل بالعكس : ثلاثمائة حرائر وسبعمائة من الإماء . وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيمًا جدًا .

فعن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد فى سبيل الله . فقال له صاحبه: إن شاء الله .فلم يقل فلم تحمل شيئًا إلا واحدا ساقطًا أحد شقيه.فقال النبى ﷺ: «لو قالها لجاهدوا فى سبيل الله » . وقال شعيب وابن أبى الزناد : تسعين وهو أصح

وعن أبى هريرة قال : «قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلامًا يقاتل فى سبيل الله ولم يستثن . فما ولدت إلا واحدة

منهن بشق إنسان» قال رسول الله ﷺ: «لو استثنى لولد له مائة غلام كلهم يقاتل فى سبيل الله عز وجل». تفرد به أحمد أيضًا.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « قال سليمان بن داود، لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل فى سبيل الله ، قال ونسى أن يقول إن شاء الله فأطاف بهن قال: فلم تلد منهن امرأة إلا واحدة نصف إنسان» فقال رسول الله ﷺ : «لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركًا لحاجته» رواه أحمد.

ملك سليمان

وفائده فى الفرق بين النبى الملك والعبد الرسول

وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتنوعها ما لم يكن لأحد قبله ولا يعطيه الله أحدًا بعده كما قال: ﴿ وأوتينا من كل شيء﴾ و ﴿وقال رب اغفر لى وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ﴾وقد إعطاه الله ذلك.

ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسداه من النعم الكاملة العظيمة التى إليه قال: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾

أى أعط من شئت وأحرم من شئت، فلا حساب عليك. وتصرف فى المال كيف شئت فإن الله قد سوغ لك ما تفعله من ذلك ولا يحاسبك على ذلك.

وهذا شأن النبى الملك بخلاف العبد الرسول ، فإن من شأنه ألا يعطى أحدًا إلا بإذن الله له فى ذلك.

وقد خير نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين المقامين فاختار أن يكون عبدًا رسولاً.

وفي بعض الروايات أنه استشار جبريل في ذلك فأشار إليه أن تواضع. فاختار أن يكون عبداً رسولاً صلوات الله وسلامه عليه.

وقد جعل الله الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة، فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة.

افتراءات اليهود على سيدنا سليمان وبراءة الله له:

قال تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾.

قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان﴾ أي برأ الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام من الكفر، وهو علم الساحر وعمله، وإن كان بريئا من الكفر كله معصوما مما هو دونه، لكن سياق الآية في خصوص السحر وأنه برئ منه ولو فرض وجود عمله به لكفر لأنه شرك والشرك أقبح الذنوب وأعظم المحبطات للأعمال كما قال تعالى في جميع رسله: سليمان وغيره عليهم السلام بعد أن ذكرهم: ﴿ذلك هدي الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾.

وهذا معلوم من أصل القصة فإن اليهود قاتلهم الله تلقوا السحر عن الشياطين ونسبوه إلى سليمان عليه السلام، فبرأه الله تعالى من إفكهم بهذه الآية، كما قال مجاهد رحمه الله تعالى في هذه الآية: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾.

قال: كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها، فأرسل سليمان عليه السلام إلى ما كتبوا من ذلك، فلما توفي سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: كان سليمان عليه السلام يتتبع ما

في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه، فاستثار به الإنس واستخرجوه وعملوا به. فقال أهل الحجاز - يعني اليهود من أهل الحجاز - كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر، فأنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ براءة سليمان عليه السلام، فقال تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليهما السلام فكتبوا أصناف السحر ، من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا ، حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان و كتبوا في عنوانه : هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم . ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتي أحدثوا ما أحدثوا ، فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان إلا بهذا ، فأفشوا السحر في الناس فتعلموه و علموه ، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله ، فلما ذكر رسول الله ﷺ فيما نزل عليه من الله سليمانَ بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود : تعجبون من محمد يزعم أن ابن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً . و أنزل الله تعالي في ذلك : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ الآية .

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان آصف كاتب سليمان و كان يعلم الاسم الأعظم ، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان

و يدفنه تحت كرسيه ، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحراً و كفراً وقالوا : هذا الذي كان سليمان يعمل به . قال فأكفره جهال الناس و سبوه ووقف علماء الناس ، فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد ﷺ : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾.

وتفاسير السلف وآثارهم في هذه الآية كثيرة جداً ، وما كان منها إسرائيلياً فهو من القسم المقبول لموافقته ظاهر الآية في أن اليهود تعلموا السحر من الشياطين ورموا به نبي الله سليمان و أكفروه به و سبوه، وخاصموا به محمداً رسول الله ﷺ و نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، فبين الله تعالى ما لبسوه و هدم ما أسسوه و برأ نبيه سليمان عليه السلام مما ائتفكوه و أقام الحجة عليهم في بطلان ما انتحلوه فلله الحمد والمنة .

وفاته ﷺ وبيان أن الجن لا يعلمون الغيب:

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ﴾

عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « كان سليمان نبى الله عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول كذا . فيقول: لأى شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غرست وإن كانت لدواء أنبتت .

فبينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب . قال: لأى شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت .

فقال سليمان:اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لايعلمون الغيب فنحتها عصًا فتوكأ عليها حولاً والجن تعمل، فأكلتها الأرضة . فتبينت الإنس

أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين ».

فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء .

قال إسحاق بن بشر عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرى وغيره أن سليمان عليه السلام عاش اثنتين وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة .

قال إسحاق : عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة . والله أعلم .

وقال ابن جرير : فكان جميع عمر سليمان بن داود عليهما السلام نيفًا وخمسين سنة . وفى سنة أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس فيما ذكر ثم ملك بعده ابنه رحبعام مدة سبع عشرة سنة فيما ذكره ابن جرير ، وقال : ثم تفرقت بعده مملكة بنى إسرائيل .

الدروس المستفادة:

*التمكين فى الأرض لمن يعبدون الله ولا يشركون به شيئا ، سنة من سنن الله الثابتة فى حياة الأمم . . . يقول الله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً﴾ .

* ﴿لقد آتينا داود وسليمان علما﴾ إن العلم منحة من الله عز وجل ، والعلم السليم هو الذى يصل الإنسان بربه ، ويكون وسيلة لتحقيق العبودية الكاملة لواهب ذلك العلم .

وشكر المنعم بهذا العلم على هذه النعمة له أساليب عديدة : منها بذل ذلك العلم ابتغاء مرضات الله .

وتسخيره في خدمة دين الله ، والدعوة إلى الله .

وابتغاء ثواب الآخرة ، وعدم استعماله فى طلب الدنيا لذاتها .

من هنا نرى إدراك نبى الله سليمان لهذا الفضل العظيم ، فيعلن على الملأ : أن الفضل لله ، وأن ما يشاهدونه من النعم هى هبة من رب العالمين : ﴿الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾إنه لم يتطاول بعلمه ، لم يستعل ، لم يتكبر ، لأن هذا العلم الصحيح قد زاده حسنا ، قد زاده تواضعاً لله عز جل ، وهذا هو المعيار الصحيح للعلم السليم .

* ﴿وأوتينا من كل شىء ﴾أى أن التمكين للإسلام فى الأرض وتأييده بالقوة المادية سمت للدولة الإسلامية في كل زمان ، كما كان عليه الأمر على عهد سليمان عليه السلام . فلابد للحق من قوة تحميه وتؤيده .

العبودية الحقيقية لله عز وجل :

﴿أحطت بما لم تحط به﴾ . من الذى يتكلم ؟؟ إنه جندى من جنود سليمان يقول لسليمان عليه السلام الملك النبي الرسول الذى أيده الله وآتاه من كل شىء ، عندى معلومة ليست عندك . . لم يخف ، لم يرتعش ، لم يقلها من بعيد ولكن من قريب ، ﴿فمكث غير بعيد﴾ يعنى : غير خائف ، وممن يخاف ؟ هو يعلم أن الأجل بيد الله ، والرزق بيد الله ، . . وهو يعلم أن الجميع فى قبضة الله عز وجل المحيط بهم ؛ إنه الإسلام الذى تربى عليه هذا الجندى ، فأدرك أن الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى ، وأن العبد لا يملك للعبد نفعا ولا ضرا إلا بإذن الله ، حتى لو كان الملك سليمان نفسه (عليه السلام) .

الأمانة:

والهدهد وهو ينقل الخبر كان أمينا ، لم يكن متحاملا على دولة سبأ، لقد بين أن سبب الشرك الذى وقعت فيه ملكة سبأ وقومها هو الشيطان الذى زين لهم أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. . . يعنى أنهم محتاجون لمن

يبين لهم السبيل الصحيح ، لأنه إذا خلت الساحة من جند الحق أو أنهم كانوا مكتوفى الأيدى حيال الباطل فذلك تقصير شديد ، يعطى الفرصة لحزب الشيطان لاجتيال الناس عن دين الله عز وجل .

* ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾اهتمامات القلب المسلم أن يعبد الله وحده لا شريك له .

* ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم.ألاتعلوا على وأتونى مسلمين﴾

الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة:

سليمان مجرد من كل لقب. . . قمة الأدب ، والتواضع لله عز وجل فأى عمل لايبدأ ببسم الله فهو أبتر . وجمعت الملكة مجلس شوراها ، وعرضت عليهم الأمر ، وقالت : ﴿إنى ألقى إلى كتاب كريم ﴾ لقد استشعرت من مظهره أنه كتاب كريم ، ليس أى كتاب ، إنه موصوف بأنه كريم . . هذا يبين للدعاة ضرورة أن تكون دعوتهم إلى الله متصفة بهذه الصفة ، إن الدعوة ليست كلمة تلقى حيثما اتفق، ولكنه تجهيز وإعداد ، مع اختيار الأسلوب الأمثل . فالإنسان تأسره الدعوة الكريمة .

استخدام الهدية لصرف الدعاة عن دعوتهم:

التلويح بالمناصب ، التلويح بالدنيا ،الإغراء بالهدايا وهذا من باب الابتلاء الأشد قسوة حذرنا رسول الله ﷺ : «إن مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها »

*﴿ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها . ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ إنه إعلان الجهاد في سبيل الله

وهكذا نرى النبى المسلم يوظف النعمة ،نعمة القوة التى أنعم الله عليه بها في التمكين لدين الله في الأرض ، ولم يستخدمها للاستعلاء فى الأرض بغير

الحق، أو في البطش بالآخرين.

* سليمان عليه السلم يوظف العلم فى خدمة دين الله عز جل.

وأسلوب الداعى إلى الله لابد أن يتواءم مع شخصية المدعو

ملكة سبأ ملكة كانت ممكنة فى الأرض. . . فكان لابد لسليمان أن يعرف الطريق إلى قلبها، إلى فطرتها، وفتح الله على سليمان، لقد طلب من جنده إحضار عرشها قبل مجيئها وقومها إلى سليمان عليه السلام مسلمين.

شئ يؤكد أن الله سبحانه على كل شىء قدير والعرش فى غرفة عليه حراسة وحمله من جنوب الجزيرة العربية إلى بيت المقدس آماد وأبعاد

ولذلك كان لابد من البحث عن وسيلة لإحضار العرش فى وقت أقل ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. فلما رآه مستقرا عنده، قال: هذا من فضل ربى، ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم﴾.

ولهذا النص موحيات:

(١) أن سليمان أقر الوسيلة العلمية فى إحضار العرش.

(٢) أن التمكين فى الأرض ابتلاء من الله عز وجل.

(٣) من شكر فإنما يشكر لنفسه؛ لأن الإنسان الذى يشكر الله عز وجل، على نعمه فإنما هو يعمل لمصلحته، والذى يكفربنعمة الله إنما يعود ذلك عليه: «يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً؛ يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانواعلى أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا...، ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

(٤) ﴿هذا من فضل ربى﴾ تواضع سليمان عليه السلام لله عز وجل، فهذا الإعجاز الذى وقع لم ينسبه إلى نفسه ، إنما هو من الله ، ثم أردف ذلك بقوله : ﴿إن ربى غنى كريم﴾ .

(٥) ﴿ أوتيت من كل شيء﴾ إن الله قد يمكن للكفر وأهله في الأرض ، لكن تمكين الله للإسلام والمسلمين فى الأرض أكبر وأعظم .

واجبات الحاكم العادل من خلال قصة سليمان

واجبات الراعى حيال الرعية والصفات التى يجب أن يتصف بها القائد.

١ - ﴿وتفقد الطير﴾ تفقد الرعية ؛ لأنه يعلم أنه سيسأل يوم القيامة عنها :

قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»وقال : «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» .

٢ - ﴿مالى أرى الهدهد﴾ اليقظة مع كثرة المشاغل والمسؤوليات الكبيرة. . . فسليمان ﷺ فطن لغياب أمر الجنود .

٣ - ﴿لأعذبنه عذاباً شديداً أو ليأتين بسلطان مبين﴾الضبط والربط وعدم الاندفاع والعجلة فى الأحكام. . . لأن ترك التقصير دون عقاب يؤدى إلى التسيب ولا بد من الضبط والربط. . . فى المقابل لا نرى اندفاعاً فى إصدار الحكم لكن نرى الحكمة والتريث والعدل فى الحكم إن لم يقدم عذراً .

٤ - ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس دون الله﴾أول ما أخبر به الهدهد سليمان وهو أهم شيء تربية رعيته على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٥ -﴿اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾[إيجابية القائد المسلم فى مواجهة الشرك وأهله] وانتدب سليمان عليه السلام الهدهد نفسه ليحمل رسالته إلى ملكة سبأ وقومها يدعوها ويدعوهم إلى الإسلام .

(٣)المهدى
وبيان أنه من أشراط الساعة

قال العلماء رحمهم الله تعالى : الحكمة فى تقديم الأشراط ، ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كى لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم ، فينبغى للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا ، واستعدوا للساعة ، الموعود بها والله أعلم .

وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها ، فمنها قبض العلم ، وغلبة الجهل ، واستيلاء أهله وبيع الحكم ، وظهور المعازف ، واستفاضة شرب الخمور ، واكتفاء النساء بالنساء ، والرجال بالرجال ، وإطالة البنيان، وزخرفة المساجد ، وإمارة الصبيان، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، وكثرة الهرج

ولها آيات عظام وهى : ظهور المهدى وخروج الدجال ، ونزول عيسى، وقتله الدجال ، ومنها خروج يأجوج ومأجوج ، ودابة الأرض ، ومنها طلوع الشمس من مغربها .

فى بيان أنه الخليفة الكائن فى آخر الزمان

قال ابن كثير فى نهاية الفتن والملاحم(١/ ٤٩) : أما ما سنذكره فقد نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ أنه يكون في آخر الدهر وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى ابن مريم كما دلت علي ذلك الأحاديث .

روى مسلم عن أبى نضرة قال : كنا جلوساً عند جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق أن لا يجىء قفيز ولا درهم إليهم . قلنا : من أين ؟ قال :

من قبل العجم يمنعون ذلك . ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مدى . قلنا من أين لك ذلك ؟ قال : من قبل الروم ثم سكت هنيهة، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : «يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حثيا ولا يعده عدا» قيل لأبى نضرة وأبى العلاء تريان أنه عمر بن عبد العزيز ؟ قالا : لا .

قال القرطبى تعليقاً عليه : فيه دلالة على صدق النبى ﷺ حيث أخبر عما سيكون بعد فكان . ومثله الحديث الآخر : «منعت العراق درهمها وقفيزها» الحديث . أى ستمنع، وأتى بلفظ الماضى فى الأخبار ، لأنه ماض فى علم الله أنه سيكون كقوله عز من قائل ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ [النحل : ١] والمعنى أنه لا يجيء إليها كما جاء مفسراً فى هذا الحديث ، ومعناه - والله أعلم - سيرجعون عن الطاعة ويأبون من إذا ما وظف عليهم فى أحد الأمر ، وذلك أنهم يرتدون عن الإسلام ، وعن أداء الجزية ، ولم يكن ذلك فى زمانه، ولكن أخبر أنهم سيفعلون ذلك .

ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق:

روى أبو داود : قال علي ونظر إلي ابنه الحسن فقال إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمي باسم نبيكم ﷺ يشبه في الخلق ولا يشبهه فى الخلق ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلا .

وقد عقد أبو داود السجستانى رحمه الله كتاب المهدي مفرداً في سننه فأورده في صدره حديث جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ : «لا يزال هذا الدين قائماً حتي يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة» وفي رواية «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلي اثني عشر خليفة» قال فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفيفة فقلت لأبي ما قال قال «كلهم من قريش» . وفي رواية قال فلما رجع إلي بيته أتته قريش فقالوا ثم يكون ماذا قال: «ثم تكون الفرج» (أى الشرور)

بعض ما سيلاقي أهل بيت رسول الله ﷺ:

روى ابن ماجة عن علقمة عن عبد الله قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ «اغرورقت عيناه وتغير لونه قال: فقلت ما نزال نري في وجهك شيئا نكرهه فقال: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علي الدنيا وإن بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً حتي يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخبز فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ماسألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلي رجل من أهل بيتي فيملأها قسطا كما ملئت جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً علي الثلج» .

قال ابن كثير: ففي هذا السياق إشارة إلي بني العباس.

علامة خروجه خسف بالبيداء وأن خروجه يكون بغد ظهور الظلم والجور فى الدنيا وغلبهما على الحق:

روى أبو داود عن أم سلمة زوج النبى ﷺ عن النبى ﷺ قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب العراق فيبايعونه، ثم ينشر رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيغنم المال ويعمل الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون» .

ماجاء فى الجيش الذى يخسف به:

عن أبى هريرة قال: يجىء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة، فيقتل المقاتلة ويبقر بطون النساء ويقولون للحبلى فى البطن اقتلوا صبابة

السوء، فإذا علوا البيداء من ذى الحليفة ، خسف بهم ، فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ، ولا أعلاهم أسفلهم، قال أبو المهزم : فلما جاء جيش ابن دلجة قلناهم ، فلم يكونوا هم .

وعن بشر بن محمد المعافرى قال : سمعت أبا فراس يقول : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إذا أخسف الجيش بالبيداء ، فهو علامة ظهور المهدى .

وروى مسلم عن أم سلمة سئلت عن الجيش الذى يخسف به ، وكان ذلك فى أيام ابن الزبير ، فقالت : قال رسول الله ﷺ : «يعوذ بالبيت عائذ فيبعث الله إليه بعثاً ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم» ، فقلت يا رسول الله وكيف بمن كان كارهاً ؟ قال: «يخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته» وقال : أبو جعفر : هى بيداء المدينة . وقال : عبد العزيز بن رفيع : إنما قال ببيداء من الأرض قال : كلا إنها والله لبيداء المدينة .

وروى أيضاً عن عبد الله بن صفوان قال : أخبرتنى حفصة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادى أولهم آخرهم ، ثم يخسف بهم ، فلا يبقى منهم إلا الشريد الذى يخبر عنهم»

أخرجه ابن ماجه وزاد . فلما جاء جيش الحجاج ظننا أنهم هم ، فقال رجل : أشهد أنك لم تكذب على حفصة ، وإن حفصة لم تكذب على رسول الله ﷺ .

وعنه عن أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال : «سيعود بهذا البيت ، يعنى : الكعبة، قوم ليس لهم منعة ، ولا عدد ، ولا عدة يبعث إليهم جيش ، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض ، خسف بهم» .

قال يوسف بن ماهك : وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة . قال عبد

الله بن صفوان : أما والله ما هو بهذا الجيش .

ذكر من يوطئ له ملكه:

روى ابن ماجه ، عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلا واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ، فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدى» .

قال ابن كثير فى نهاية الفتن والملاحم(١/ ٥٥): تفرد به ابن ماجه وهذا إسناد قوي صحيح والظاهر أن المراد بالكنز المذكور فى هذا السياق كنز الكعبة يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدى ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامرا كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن وهم ينتظرون خروجه فى آخر الزمان فإن هذا نوع من الهذيان وقسط كثير من الخذلان وهوس شديد من الشيطان إذ لا دليل عليه ولا برهان لا من كتاب ولا من سنة ولا من معقول صحيح ولا استحسان.

وقال الترمذى قال رسول الله ﷺ : «يخرج من خراسان راياتُ سود فلا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء»

هذا حديث غريب وهذه الرايات السود ليست هى التى أقبل بها أبو مسلم الخراسانى فاستلهب بها دولة بنى أمية فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة بل رايات سود أخر تأتى بصحبة المهدى وهو محمد بن عبد الله العلوى الفاطمى الحسنى رضى الله عنه يصلحه الله فى ليلة أى يتوب عليه ويوفقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك ويؤيده بناس من أهل المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه ويشدون أركانه وتكون راياتهم سوداء أيضاً وهو زى عليه الوقار لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها العقاب وقد ركزها خالد بن الوليد على

الثنية التى هى شرقى دمشق حين أقبل من العراق فعرفت الثنية بها فهى الآن يقال لها ثنية العقاب وقد كانت عذاباً على الكفرة من نصارى الروم والعرب ووطدت حسن العاقبة لعباد الله المؤمنين من المهاجرين والأنصار ولمن كان معهم وبعدهم إلى يوم الدين ولله الحمد وكذلك دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح إلى مكة وعلى رأسه المغفر وكان أسود . . والمقصود أن المهدى الممدوح الموعود بوجوده فى آخر الزمن يكون أصل خروجه وظهوره من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك نص الحديث أ . هـ.

وخرج عن عبد الله بن الحارث بن جز الزبيدى قال : قال رسول الله ﷺ : «يخرج ناس من المشرق ، فيوطؤن للمهدى - يعنى : سلطانه -» وضعف فى الزوائد.

وخرج أبو داود عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « يخرج رجل من وراء النهر ، يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور ، يوطئ أو يمكن لآل محمد ﷺ وعليهم كما مكنت قريش للنبى ﷺ ، وجبت على كل مؤمن نصرته أو قال : إعانته» رواه أبو دارد بإسناد ضعيف .

مكثه وإعطائه:

روى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : «يكون فى أمتى المهدى إن قصر فسبع وإلا فتسع ، تنعم فيه أمتى نعمة لم يسمعوا بمثلها قط ، تؤتى أكلها ولا تترك منهم شيئاً والمال يومئذ كرؤوس ، يقم الرجل فيقول : يا مهدى ، أعطنى ، فيقول : خذ» .

وخرج الترمذى ، عن أبى سعيد الخدرى قال : خشينا أن يكون بعد نبينا ﷺ حدث فسألنا النبى ﷺ قال : «إن فى أمتى المهدى ، يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً» - زيد للشك قلنا : وما ذاك؟ قال : «يجىء إليه الرجل فيقول : يا

مهدى أعطنى فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله » قال : هذا حديث حسن .

صفته:

وخرج عنه أيضاً قال : قال رسول ﷺ : «المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً فيملك سبع سنين» .

بركته على أهل الأرض:

وذكر عبد الرزاق عن أبى سعيد الخدرى قال : «ذكر رسول الله ﷺ بلايا تصيب هذه الأمة ، حتى لا يجد الرجل ملجأ إليه من الظلم « فيبعث الله رجلاً من عترتى - أهل بيتى - فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع السماء شيئاً من قطرها إلا صبته مداراً ، ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته ، حتى تتمنى الأحياء أن لا موات يعيش فى ذلك سبع سنين أو ثمانى سنين أو تسع سنين» .

اسمه والرد على الشيعة فى أن اسمه محمد بن الحسن العسكرى:

وعن عبد الله عن النبى ﷺ قال : «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم» ، قال زائدة فى حديثه لطول الله ذلك اليوم «حتى يبعث فيه رجلاً من أمتى أو من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى»خرجه الترمذى بمعناه وقال : حديث حسن صحيح .

بيان أن الله يصلحه فى ليلة واحدة:

ذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن الحنفية ، عن أبيه على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «المهدى منا أهل البيت، يصلحه الله عز وجل فى ليلة أو قال: فى يومين» .

فتح القسطنطينية ومن أين تفتح ، وفتحها علامة خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه:

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا، والله لا نخلى بينكم وبين الذين هم إخواننا فيقاتلونهم فيهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتحون القسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم فى أهلكم ، فيخرجون ، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام، خرج، فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة،فينزل عيسى ابن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه فى حربته» .

وصف رسول الله ﷺ لفتح القسطنطينية:

خرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر؟»قالوا: نعم يارسول الله . قال : «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بنى إسحاق فإذا جاءوها نزلوا ، فلم يقاتلوا بسلاح ، ولم يرموا بسهم . قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها» ،

قال ثور : لا أعلمه ، قال : «إلا الذى فى البحر ثم يقولون الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ، ثم تقول الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون ، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون » .

وروى الترمذى عن أنس قال : «فتح القسطنطينية مع قيام الساعة» هكذا رواه موقوفاً وقال: حديث غريب ، والقسطنطينية مدينة الروم وتفتح عند خروج الدجال .

الملكان الكافران

١ - النمروذ

٢ - بختنصر

١ - النمروذ

علماء الأنساب والنمروذ:

قال المفسرون وغيرهم من علماء الأنساب والأخبار : وهذا الملك هو ملك بابل . . . واسمه النمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح . قاله مجاهد .

وقال غيره : نمروذ بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح .

قال مجاهد وغيره : وكان أحد ملوك الدنيا ، فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة : مؤمنان وكافران ؛ فالمؤمنان : ذو القرنين وسليمان ، والكافران : النمروذ وبختنصر .

ادعائه للربوبية:

وذكروا أن نمروذ هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة . . . وكان طغى وبغى ، وتجبر وعتا ، و آثر الحياة الدنيا .

ولما دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ؛ حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع .

فحاج إبراهيم الخليل فى ذلك ، وادعى لنفسه الربوبية .

فى مثل هذه البيئة ، وفى مثل هذا المجتمع ، ولد إبراهيم عليه السلام ، ولد فى بلد ، بداية بالحاكم ونهاية بأفراد الأمة ، يكفرون بالله عز وجل ، ويدعى الحاكم لنفسه حق من حقوق الألهية .

حوار بين إبراهيم والملك الذى عاش في عصره ، يجادله فى الله .

دعوة إبرهيم الخليل عليه السلام لقومه :

سيرة هذا النبى تعتبر نبراسا يضىء الطريق أمام هؤلاء الذين تصيبهم الحيرة وهم يرون الكفر مستشريا فى جنبات المجتمع ، أمامهم وخلفهم وعن شمائلهم يرونه في المجتمع الذى لايحكم بما أنزل الله ، يرونه فى الحاكم الذى يدعى لنفسه حق وضع النظام والقانون الذى تسير عليه الأمة ، والذى يوظف الناس فى مصلحته ، يرونه فى الحكم الظالم الذى لا يرقب فى الناس إلا ولا ذمة ، يرونه في الحاكم الذى يوالى أعداء الله ، ويعادى أولياء الله ، يرونه في الحاكم وأعوانه الذين يحاربون الإسلام وجنده ، يرونه في كل شىء ، في دور العلم المفروض في حقها أن تعلم الناس كيف يكونوا عبيدا لله عز وجل ، فإذا هى تعلمهم كيفية المروق من دين الله ، يرونه فى الشارع الذى لايحترم الفضيلة ويقدس الرذيلة ، ويرونه في الإذاعة المرئية والمسموعة التى تزين الفاحشة وتزين الجريمة ، يرونه في المنزل الذى يحول بين الشاب أو الفتاة وبين العودة إلى دين الله .

والصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار أنه ولد ببابل وصحح ذلك الحافظ ابن عساكر .

قالوا : فتزوج إبراهيم « سارة » وناحور « ملكا » ابنة هاران يعنون ابنة أخيه قالوا : وكانت سارة عاقراً لا تلد . قالوا : وانطلق تارخ بابنه إبراهيم وامرأته سارة وابن أخيه لوط بن هاران

فخرج بهم من أرض الكلدانين إلى أرض الكنعانيين فنزلوا حران فمات فيها تارخ وله مائتان وخمسون سنة . وهذا يدل على أنه لم يولد بحران وإنما مولده بأرض الكلدانيين وهى أرض بابل وما والاها .

ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين وهى بلاد بيت المقدس فأقاموا

بحران وهى أرض الكلدانيين فى ذلك الزمان، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً وكانوا يعبدون الكواكب السبعة والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين ، يستقبلون القطب الشمالى ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها أعياداً وقرابين

وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفاراً سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليه السلام، وكان الخليل عليه السلام وهو الذى أزال الله به تلك الشرود وأبطل به ذاك الضلال، فإن الله سبحانه وتعالى أتاه رشده فى صغره وابتعثه رسولاً واتخذه خليلاً فى كبره . قال تعالى: ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾[الأنبياء : ٥١] أى كان أهلاً لذلك .

قال الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين﴾. [البقرة :٢٥٨]

يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد ، الذى ادعى لنفسه الربوبية ، فأبطل الخليل عليه دليله إن الله يأتى . . . وبين كثرة جهله وقلة عقله . . . وألجمه الحجة ، وأوضح له طريق المحجة فبهت الذى كفر

قال ابن كثير :

فلما قال الخليل : ﴿ ربى الذى يحيي ويميت قال أنا أحيى وأميت ﴾ [البقره : ٢٥٨].

قال قتادة والسدى ومحمد بن إسحاق : يعنى أنه إذا أوتى بالرجلين قد تحتم قتلهما ، فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر ، وهذا ليس بمعارضة للخليل .

بل هو كلام خارج عن مقام المناظرة ، ليس بمنع ولا بمعارضة ، بل هو تشغيب محض ، وهو انقطاع فى الحقيقة .

فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها ، على وجود فاعل ذلك الذى لابد من استنادها إلى وجوده ، وضرورة عدم قيامها بنفسها، ولابد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة، من خلقها وتسخيرها ، وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر ، وخلق هذه الحيوانات التى توجد مشاهدة ثم إماتتها . . . ولهذا

قال إبراهيم: ﴿ ربى الذى يحيي ويميت ﴾ [البقرة: ٢٥٣]

فقول هذا الملك الجاهل: ﴿ أنا أحيى وأميت ﴾ إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند. . . وإن عنى ما ذكره قتادة والسدى ومحمد بن إسحاق، فلم يقل شيئًا يتعلق بكلام الخليل؛ إذ لم يمنع مقدمه، ولاعارض الدليل.

﴿فبهت الذى كفر﴾

ولما كان انقطاع معارضة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم . . . ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع، وبطلان ما ادعاه النمروذ وانقطاعه جهرة.

قال إبراهيم: ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

أى هذه الشمس مسخرة كل يوم، تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها، وهو الذى لا إله إلا هو خالق كل شيء، فإن كنت كما زعمت من أنك الذى تحيي وتميت . فأت بهذه الشمس من المغرب .

فإن الذى يحيي ويميت هو الذى يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء ودان له كل شيء . . . فإن كنت كما تزعم فافعل هذا . . . فإن لم تفعله فلست كما زعمت . . . وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا . . بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بعوضة أو تنتصر منها .

فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه . . وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه . . . ولم يبق له كلام يجيب الخليل به، بل انقطع وسكت .

ولهذا قال تعالى: ﴿فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ .

متى كانت هذه المناظرة :

وقد ذكر السدى أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم وبين النمروذ يوم خرج من النار ، ولم يكن اجتمع به يومئذ فكانت بينهما هذه المناظرة .

فعن زيد بن أسلم ، أن النمروذ كان عنده طعام ، وكان الناس يغدون إليه للحيرة ، فوفد إبراهيم فى جملة من وفد للحيرة ولم يكن اجتمع به إلا يومئذ فكانت بينهما هذه المناظرة . ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطى الناس ، بل خرج وليس معه شيء من الطعام . فلما قرب من أهله عمد إلى كثيب من التراب فملأ منه عدليه وقال أشغل أهلى إذا قدمت عليهم ، فلما قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام ، فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما ملآنين طعامًا طيبًا ، فعملت منه طعامًا ، فلما استيقظ إبراهيم وجد الذى قد أصلحوه فقال أنّى لكم هذا؟ . . . قالت : من الذى جئت به ، فعرف أنه رزق من الله عز وجل .

بعوضة أهلكت النمروذ:

قال زيد بن أسلم : وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ، ملكًا يأمره بالإيمان بالله ، فأبى عليه ثم دعا الثانية فأبى عليه ثم دعا الثالثة فأبى عليه

وقال : اجمع جموعك وأجمع جموعى . . . فجمع النمروذ جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس . . . فأرسل الله عليه ذبابًا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس ، وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم ، وتركتهم عظامًا بادية .

ودخلت واحدة منهم فى منخر الملك فمكثت فى منخره أربعمائة سنة ! وعذبه الله بها .

فكان يضرب رأسه بالمرازب فى هذه المدة كلها ، حتى أهلكه الله عز وجل بها .

الدروس المستفادة من قصة إبراهيم الخليل:

قال الدكتور جمال عبد الهادى:

أولا: علم الله المحيط ، فهذا الخبر الذى يرويه رسول الله ﷺ عن إبراهيم عليه السلام ، الذى يفصله عنه حوالى ست وعشرون قرنا من الزمان، جاءه عن طريق الوحى .

ثانيا: فضل الله على إبراهيم وعلى الأمة المسلمة ، وقدر إبراهيم عليه السلام، عند الله عز وجل .

ثالثا : إن الله سبحانه وتعالى ، وهو الحى القيوم ،القهار ، والجبار الذى يصمد إليه في الأمور كلها ، وهو الملجأ والملاذ لأوليائه وعباده ،إذا تكالبت عليه قوى الشر والعدوان بكل ما تملك من وسائل القوة المادية والبطش ، وهم عزل من كل شيء إلا من قوة الله عز وجل ،وهم مستضعفون في الأرض.

(ا) إبرهيم عليه السلام يحاول أن يستنقذ أباه وقومه من ظلمات الشرك والجاهلية التى يعيشون فيها

(ب) إبراهيم عليه السلام يحطم آلهة قومه المزعومة متحدياً بذلك المجتمع بأسره ويتعرض للابتلاء

(جـ) الخسران الذى حل بأهل الرافدين (العراق):

فالنصوص السومرية تحكى لنا أن «آور» مسقط رأس إبرهيم عليه السلام قد تعرضت لهزتين عنيفتين ؛ فقد هاجمها شعبان هما شعب العيلاميين وشعب الآموريين (وهذا من باب إهلاك الظالمين بالظالمين) ، سيطر هؤلاء المهاجمون على «آور» التى سقطت بين فكى الكماشة ، واقتسم مجدها العيلاميون والآموريون .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله

فحاسبنها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا . فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا . أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ .

وباختصار كما يقول الأستاذ / سيد قطب - رحمه الله -:

- «إن هذ الملك الذى حاج إبراهيم لم يكن منكرا الله أصلا . . . إنما كان منكرا لوحدانية الله وتدبيره الأمر بنفسه وشؤون الكون وحده» .

- «إن هذالملك المتعنت ينكر ذلك للسبب الذى كان ينبغى من أجله أن يمن ويشكر ، هذ السبب : ﴿أن آتاه الله الملك﴾ . لقد جعل الله فى يده السلطان، كان ينبغى أن يشكر ويعترف ، لولاأن الملك يطغى ويبطر من لا يقدرون نعمة الله ، ولا يدركون مصدر الإنعام ، ومن ثم يضعن الكفر موضع الشكر . . . ويضلون بالسبب الذى كان ينبغى أن يكونوا مهتدين ، فهم «حاكمون» لأن الله «حكمهم » وهو لم يخولهم استعباد الناس بقسرهم على قوانين وأنظمة من عندهم ، فهم كغيرهم من الناس عبيد الله ، يتلقون مثلهم الشريعة من الله ولا يستقلون دونه بحكم ولا تشريع فهم خلفاء لاأصلاء» .

- ﴿قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت﴾ .

- الإحياء والإماتة ظاهرتان مكرورتان في كل لحظة معروضتان لحس الإنسان وعقله، وهما سر محير يلجئ الإدراك البشرى إلى مصدر آخر غير بشرى ، إلى أمر آخر غير أمر المخلوقين ، لابد من الالتجاء إلى الإلهية القادرة على الإنشاء والإفناء لحل هذا اللغز» .

«نحن لا نعرف حقيقة الحياة وحقيقة الموت ، ونحن مسلمون أن نكل مصدر الحياة والموت إلى قوة ليست من جنس القوى التى نعرفها على الإطلاق، وهى قوة الله » .

- «من ثم عرف إبراهيم ربه بالصفة التى لا يمكن أن يشاركه فيها أحد ، ولا يمكن أن يزعمها أحد ، هى القدرة على الخلق والإحياء والإماتة» .

- «عرف إبراهيم ربه بهذه الصفة ، لأن هذا الملك يسأله عمن يدين له بالربوبية ، ويراه مصدر لحكم التشريع : فهو الذى يحيى ويميت ومن ثم هو الذى يشرع ، لأن الذى يخلق هو الذى يأمر : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾» .

- «كان إبراهيم يعنى بالإحياء والإماتة تلك السنة الكونية الخاصة بمنشئ هاتين الحقيقتين فهما من عمل الرب المتفرد الذى لا يشاركه فيه أحد من خلقه»

- «لكن الذى حاج إبراهيم رأى فى كونه حاكما لقومه قادرا على إنفاذ أمره فيهم بالحياة والموت مظهرا من مظاهر الربوبية ، فقال لإبراهيم : أنا إذن الرب الذى يجب عليك أن تخضع وتسلم بحاكميته : ﴿قال أنا أحيى وأميت﴾»

-«عند ذلك لم يرد إبراهيم عليه السلام أن يسترسل فى جدل حول نفي الإحياء والإماتة مع رجل يمارى فى تلك الحقيقة الهائلة حقيقة منح الحياة وسلبها»

- «عندئذ عدل عن هذه السنة الكونية الخفية ، إلى سنة كونية أخرى ظاهرة ، وعدل عن طريق العرض لمجرد السنة الكونية والصفة الإلهية فى قوله : ﴿ربى الذى يحيى ويميت﴾ إلى طريق التحدى ، وطلب تغيير سنة الله لمن ينكر ويتعنت ويجادل فى الله ، ليريه أن الرب ليس حاكم قوم في ركن من الأرض ، إنما هو مصرف هذا الكون كله ، ومن ربوبيته هذه للكون يتعين أن يكون هو رب الناس والمشرع لهم» .

- قال : ﴿ إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ .

- «هى حقيقة كونية كذلك تطالع الأنظار لا تتأخر ، وهى شاهد يخاطب الفطرة حتى ولو لم يعرف الإنسان شيئا عن تركيب هذا الكون ، ولم يتعلم شيئا عن حقائق الفلك ونظرياته ، والرسالات تخاطب فطرة الكائن البشرى

في أية مـرحلة من الموضع الذى هو فـيـه ، ومن ثم كـان هذا التـحـدى الذى يخاطب الفطرة كما يتحدث بلسان الواقع» .

- ﴿فبهت الذي كفر﴾ .

فالتحدى قائم ، والأمر ظاهر ، ولا سبيل إلى سوء الفهم؛ لكن الكبر عن الرجوع إلى الحق يمسك بالذى كفر فيبهت ويبلس ويتحير ، ولا يهديه الله إلى الحق لأنه لم يتلمس الهداية ولم يرغب في الحق .

﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾

«يمضى هذا الجدل الذى عرضه الله على نبيه ﷺ وعلى الجماعة المسلمة ، مثلا للضلال والعناد وتجربة يتزود بها أصحاب الدعوة الجدد فى مواجهة المنكرين ، وفى ترويض النفس على مواجهة تعنت المنكرين» .

حقائق تلف التصور الإيمانى الناصع:

﴿ربي الذى يحيى و يميت﴾ . . . ﴿فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ ؛ حقيقة في الأنفس وموت حياة ، وحقيقة فى الآفاق خروج الشمس من المشرق وغروبها في المغرب .

حقيقتان لا تحتاجان إلى علم غزير ولاتفكير طويل . . فالله يكل عباده فى مسألة الإيمان به والاهتداء إليه إلى التقاء الفطرة بالحقائق الكونية المعروضة على الجميع والتى تفرض نفسها فرض على الفطرة ، فلا يحيد الإنسان عن إيحائها الملجئ إلا بعسر ومشقة ومحاولة ، وتعنت وعناد .

والشأن فى الاعتقاد كالشأن في كل أمر حى تتوقف عليه حياة الكائن البشرى ، والكائن الحى يبحث عن الطعام والشراب والهواء ، كما يبحث عن التناسل والتكاثر ، ويبحث فطريا عن الإيمان ولايترك الأمر فى هذه الحيويات حتى يكمل التفكير وينضج ، أو حتى ينمو العلم ويغزر . . . وإلا تعرضت

حياة الكائن الحى إلى الدمار والبوار . . . الإيمان حى للبشر حيوية الطعام والشراب والهواء ، ومن ثم يكله الله فيه إلى الفطرة والتفكير فى آياته المبثوثة في صفحات الكون كله ، فى الأنفس والآفاق .

لقد ولد إبراهيم في مجتمع وصل به فساد التصور إلى عبادة أصنام من نحت يده . . . ولد إبراهيم في مجتمع كان يرى الخير فى عبادات الآباء والأجداد رغم مروقها عن دين الله عز وجل . . . ولد فى مجتمع يتداعى إلى الوقوف فى وجه الدعوة إلى دين الله عز وجل . . بل إنه ولد من أب يصنع الأصنام ويبيعها للناس .

– ماذا فعل إبراهيم ؟ وهو يرسم بذلك الطريق ، لمن يعيشون مثل ظروفه، هل تراخى وقال : لا شأن لى بما يحدث ؟ حسبى أن أعرف ربى وأعبده فى نفسى ؟؟ هل قال : كيف أستطيع بمفردى أن أقف في وجه مجتمع يملك كل مقومات القوة المادية ويسخرها فى الصد عن سبيل الله ؟ هل جبن ، هل خاف ؟على العكس من ذلك . . . . .

لقد انطلق يدعو إلى الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله وإفراده وحده بالعبادة: ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ .

وهذا هو دور الدعاة الآن وفي كل زمان أن يبينوا للناس فساد معبوداتهم، وقلة حيلتهم ، وأنهم لا تغرنهم قوة الطواغيت الظاهرة وما تملك من مقومات القوة الظاهرة ، سواء أكانت قوات ومعدات عسكرية أو غيرها ، وما يعمل في خدمتهم من أجهزة الإعلام والدجل ، تجعل الباطل حقاً والحق باطلا ، عليهم أن يبينوا للناس أن الطاغوت فى قبضة الله الذى يحيى ويميت وهم فى قبضة الله يوم يبعث ، فلا يخافونه ولا يخشوه ، وعلى الدعاة أن يبينوا للناس كثرة جهلهم وقلة عقلهم في تعبيد أنفسهم لعباد أمثالهم ، وفى تعبيد أنفسهم لشهواتهم ورذائلهم ، وفي نكلهم عن دينهم . أ . هـ

٢ - بختنصر

من هو بختنصر :

قال المفسرون وغيرهم من علماء الأنسان والأخبار أنه بختنصر بن مروزاذان بن سنحاريب من ولد نمروذ الأصغر بن كنعان وهو الذى أفنى بنى إسرائيل وغزا مصر ودوخ كثيراً من البلدان .

تفكير بختنصر فى غزو بنى إسرائيل:

عن وهب بن منبه ، قال: إن الله تعالى لما بعث أرميا إلى بنى إسرائيل وذلك حين عظمت الأحداث فيهم فعملوا بالمعاصى وقتلوا الأنبياء .

طمع بختنصر فيهم وقذف الله فى قلبه وحدث نفسه بالمسير إليهم لما أراد الله أن ينتقم به منهم .

فأوحى الله إلى أرميا : أنى مهلك بنى إسرائيل ومنتقم منهم فقم على صخرة بيت المقدس يأتيك أمرى ووحيى .

فقام أرميا فشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وخر ساجداً ، وقال : يارب . . وددت لو أن أمى لم تلدنى حين جعلتنى آخر أنبياء بنى إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبوار بنى إسرائيل من أجلى .

فقال له: ارفع رأسك فرفع رأسه فبكى .

ثم قال : يارب . . من تسلط عليهم ؟

فقال : عبدة النيران لا يخافون عقابى ولا يرجون ثوابى . . . قم يا أرميا فاستمع وحيى أخبرك خبرك وخبر بنى إسرائيل ؛ من قبل أن أخلقك اخترتك، ومن قبل أن أصورك فى رحم أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك

من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ نبأتك ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ولأمر عظيم اجتبيتك .

فقم مع الملك تسدده وترشده، فكان مع الملك يسدده ويأتيه الوحى من الله حتى عظمت الأحداث ونسوا ما نجاهم الله به من عدوهم سنحاريب وجنوده. فأوحى الله إلى أرميا: قم فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتى عليهم وعرفهم أحداثهم .

فقال أرميا : يارب . . إنى ضعيف إن لم تقونى . . عاجز إن لم تبلغنى . . مخطىء إن لم تسددنى . . مخذول إن لم تنصرنى . . . ذليل إن لم تعزنى

فقال الله تعالى : أولم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتى وأن الخلق والأمر كله لى وأن القلوب والألسنة كلها بيدى فأقلبها كيف شئت فتطيعنى، فأنا الله الذى ليس شىء مثلى، قامت السموات والأرض وما فيهن بكلمتى، وأنه لا يخلص التوحيد ولم تتم القدرة إلا لي، ولا يعلم ما عندى غيرى ، وأنا الذى كلمت البحار ففهمت قولى وأمرتها ففعلت أمرى ، وحددت عليها حدوداً فلا تعدو حدى، وتأتى بأمواج كالجبال فإذا بلغت حدى ألبستها مذلة لطاعتى وخوفاً واعترافًا لأمرى، وإنى معك ولن يصل إليك شىء معى ، وإنى بعثتك إلى خلق عظيم من خلقى لتبلغهم رسالاتى فتستوجب لذلك أجر من اتبعك ولا ينقص ذلك من أجرهم شيئًا .

انطلق إلى قومك فقم فيهم وقل لهم : إن الله ذكركم بصلاح آبائكم فلذلك استبقاكم ، يا معشر أبناء الأنبياء ، وكيف وجد آباؤكم مغبة طاعتى وكيف وجدتم مغبة معصيتى ، وهل وجدوا أحداً عصانى فسعد بمعصيتى وهل علموا أحد أطاعنى فشقى بطاعتي؟ إن الدواب إذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعت إليها، وأن هؤلاء القوم رتعوا فى مروج الهلكة

وتركوا الأمر الذى أكرمت به آباءهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها ، فأما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادى خولا يتعبدونهم ويعلمون فيهم بغير كتابى حتى أجهلوهم أمرى وأنسوهم ذكرى وسنتى وغروهم عنى فدان لهم عبادى بالطاعة التى لا تنبغى إلا لى فهم يطيعونهم فى معصيتى . وأما ملوكهم وأمراؤهم فبطروا نعمتى وأمنوا مكرى وغرتهم الدنيا حتى نبذوا كتابى ونسوا عهدى ، فهم يحرفون كتابى ويفترون علىّ رسلى جرأة منهم على وغرة بى ، فسبحان جلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى هل ينبغى أن يكون لى شريك فى ملكى ؟ وهل ينبغى لبشر أن يطاع فى معصيتى ؟ وهل ينبغى لى أن أخلق عبادًا أجعلهم أربابًا من دونى أو آذن بالطاعة وهى لا تنبغى إلا لى ؟!

وأما قراؤهم وفقهاؤهم فيدرسون ما يتخيرون ، فينقادون للملوك فيتابعونهم على البدع التى يبتدعون فى دينى ويطيعونهم فى معصيتى ، ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدى ، فهم جهلة بما يعلمون ولا ينتفعون بشىء مما علموا من كتابى .

وأما أولاد النبيين فمقهورون ومفتونون ، يخوضون مع الخائضين يتمنون مثل نصرى آباءهم والكرامة التى أكرمتهم بها ، ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك منهم بغير صدق منهم ولا تفكر ، ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم وكيف كان جدهم فى أمرى حى اغتر المغترون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا وصدقوا حتى عز أمرى وظهر دينى . فتأنيت هؤلاء القوم لعلهم يستحيون منى ويرجعون ، فتطولت عليهم وصفحت عنهم فأكثرت ومددت لهم فى العمر وأعذرت لهم لعلهم يتذكرون .

وكل ذلك أمطر عليهم السماء وأنبت لهم الأرض وألبسهم العافية وأظهرهم على العدم ولا يزدادون إلا طغياناً وبعداً منى فحتى متى هذا ؟

أبى يسخرون، أم بى يتحرشون، أم إياى يخادعون ،أم علىّ يجترئون؟ .

فإنى أقسم بعزتى لأتيحن عليهم فتنة يتحير فيها الحليم ويضل فيها الحكيم رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم ثم لأ سلطن عليهم جباراً قاسيًا عاتيًا ألبسه الهيبة، وأنزع من قلبه الرأفة والرحمة .

وآليت أن يتبعه عدد وسواد مثل الليل المظلم ، له فيه عساكر قطع السحاب، ومواكب مثل العجاج ، وكان خفيق راياته طيران النسور، وحمل فرسانه كسرب العقبان ، يعيدون العمران خرابًا والقرى وحشاً ، ويعيثون فى الأرض فساداً ، ويتبرون ما علوا تتبيرا . . . قاسية قلوبهم لا يكترثون ولا يرقبون ولا يرحمون ولا يبصرون ولا يسمعون .

يجولون فى الأسواق بأصوات مرتفعه مثل زئير الأسد تقشعرمن هيبتها الجلود وتطيش من سمعها الأحلام بألسنة لا يفقهونها ووجوه ظاهر عليها المنكر لا يعرفونها

فوعزتى لأعطلن بيوتهم من كتبى وقدسى ولأخلين مجالسهم حديثها ودروسها ، ولأوحشن مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتزينون بعمارتها لغيرى، ويتهجدون فيها ويتعبدون لكسب الدنيا بالدين، ويتفقهون فيها لغير الدين، ويتعلمون فيها لغير العمل ، لأبدلن ملوكها بالعز الذل . . . وبالأمن من الخوف، وبالغنى الفقر ، وبالنعمة الجوع ، وبطول العافية والرخاء ألوان البلاء، وبلباس الديباج والحرير مدارع الوبر والعباء، وبالأرواح الطيبة والأدهان جيف القتلى، وبلباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال، ثم لأعيدن فيهم بعد القصور الواسعة والحصون الحصينة الخراب ، وبعد البروج المشيدة مساكن السباع، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب، وبعد ضوء السراج دخان الحريق وبعد الأنس الوحشة والقفار، ثم لابدلن نساءها

بالأسورة الأغلال، وبقلائد الدر والياقوت، وسلاسل الحديد، وبألوان الطيب والأدهان النقع والغبار ، وبالمشى على الزرابى عبور الأسواق والأنهار، والخبب إلى الليل فى بطون الاسواق ، وبالخدور والستور الجسور عن الوجوة والسوق والأسفار والأرواح السموم، ثم لأدوسنهم بانواع العذاب حتى لوكان الكائن منهم فى حالق لوصل ذلك إليه، إنى إنما أكرم من أكرمنى وإنما أهين من هان عليه أمرى، ثم لآمرن السماء خلال ذلك فلتكونن عليهم طبقا من حديد ، ولآمرن الأرض فلتكونن سبيكة من نحاس . . . فلا سماء تمطر ولا أرض تنبت فإن أمطرت خلال ذلك شيئا سلطت عليهم الآفه فإن خلص منه شىء نزعت منه البركة .

وإن دعونى لم أجبهم . . . وإن سألونى لم أعطهم . . . وإن بكوا لم أرحمهم . . . وأن تضرعوا إلى صرفت وجهى عنهم .

وإن قالوا اللهم أنت الذى ابتدأتنا وآباءنا من قبلنا برحمتك وكرامتك وذلك بأنك اخترتنا لنفسك وجعلت فينا نبوتك وكتابك ومساجدك ثم مكنت لنا فى البلاد واستخلفتنا فيها وربيتنا وآباءنا من قبلنا بنعمتك صغاراً وحفظتنا وإياهم برحمتك كبارا، فأنت أوفى المنعمين وإن غيرنا . . . ولا تبدل وإن بدلنا وأن تتم فضلك ومنك وطولك وإحسانك .

فإن قالوا ذلك قلت لهم : إنى أبتدئ عبادى برحمتى ونعمتى فإن قبلوا أتممت وإن استزادوا زدت وإن شكروا ضاعفت وإن غيروا غضبت واذا غضبت وليس يقوم شىء بغضبي .

قال : فلما بلغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والعذاب عصوه وكذبوه واتهموه وقالوا : كذبت وأعظمت على الله الفرية فتزعم أن الله معطل أرضه ومساجده من كتابه وعبادته وتوحيده ؟! لقد أعظمت الفرية

على الله واعتراك الجنون فأخذوه وقيدوه وسجنوه .

فعند ذلك بعث الله عليهم بختنصر فأقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم . ثم حاصرهم فكان كما قال الله تعالى : ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾

قال : فلما طال بهم الحصر نزلوا على حكمة ففتحوا الأبواب وتخللوا الأزقة .

وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين . . . فقتل منهم الثلث ، وسبى الثلث . . . وترك الزمنى والشيوخ والعجائز . . . ثم وطئهم بالخيل . . . وهدم بيت المقدس . . . وساق الصبيان ، وأوقف النساء فى الأسواق حاسرات .

وقتل المقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق التوراة وسأل عن دانيال الذى كان قدكتب له الكتاب فوجده قد مات وأخرج أهل بيته الكتاب إليه وإن فيهم دانيال بن حزقيل الأصغر وميشائيل و عزرائيل وميخائيل فأمضى لهم ذلك الكتاب وكان دانيال بن حزقيل حلفا من دانيال الأكبر .

ودخل بختنصر بجنوده بيت المقدس ووطئ الشام كلها . . . وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم .

فلما فرغ منهم انصرف راجعاً وحمل الأموال التى كانت بها وساق السبايا فبلغ معه عدة صبيانهم من أبناء الأحبار والملوك تسعين ألف غلام . . . وقذف الكناسات فى بيت المقدس وذبح فيه الخنازير وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط إيشا بن يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط زبالون ونفتالى ابنى يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط يستاخر بن يعقوب وألفين من سبط بنى زيكون بن يعقوب ، وأربعة

آلاف من سبط روبيل ولاوى واثنى عشر ألفاً من سائر بنى إسرائيل وانطلق حتى قدم أرض بابل .

قال إسحاق بن بشر : قال وهب بن منبه : فلما فعل ما فعل قيل له : كان لهم صاحب يحذرهم ما أصابهم ويخبرهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتهدم مساجدهم وتحرق كنائسهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيدوه وحبسوه . فأمر بختنصر فأخرج أرميا من السجن ، فقال له : أكنت تحذر هؤلاء القوم ما أصابهم؟ قال : نعم . . . قال فإنى علمت ذلك . قال : أرسلنى الله إليهم فكذبونى . . . قال : كذبوك وضربوك وسجنوك؟ . . . قال : نعم .

قال : بئس القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربهم . فهل لك أن تلحق بى فأكرمك وأواسيك وإن أحببت أن تقيم فى بلادك فقد أمنتك

قال له أرميا : إنى لم أزل فى أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ساعة قط ولو أن بنى إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان .

فلما سمع بختنصر هذا القول منه تركه فأقام أرميا مكانه بأرض إيليا .

قال ابن كثير : وهذا سياق غريب ، فيه حكم ومواعظ وأشياء مليحة وفيه من جهة التعريب غرابة .

قال هشام بن الكلبى : قدم بختنصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصانعه عن بنى إسرائيل وأخذ منه بختنصر رهائن ورجع فلما بلغ طبرية بلغه أن بنى إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لأجل أنه صالحه فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع إليهم فأخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة وسبى الذرية .

قال : وبلغنا أنه وجد فى السجن أرميا النبى فأخرجه وقص عليه ما كان

من أمره إياهم وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه.

فقال بختنصر : بئس القوم قوم عصوا رسول الله وخلى سبيله وأحسن إليه واجتمع إليه من بقى من ضعفاء بنى إسرائيل فقالوا : إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب إلى الله عز وجل مما صنعنا ، فادع الله أن يقبل توبتنا

فدعا ربه فأوحى الله إليه أنه غير عاقل فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة فأخبرهم ما أمره الله تعالى به فقالوا : كيف نقيم بهذه البلدة وقد خربت وقد غضب الله على أهلها فأبو أن يقيموا .

تفرق بنى إسرائيل :

قال ابن الكلبى : ومن ذلك الزمان تفرقت بنو اسرائيل فى البلاد فنزلت طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة وادى القرى وذهبت شرذمة منهم إلى مصر فكتب بختنصر إلى ملكها يطلب منه من شرد منهم إليه فأبى عليه ، فركب فى جيشه فقاتله وقهره وغلبه وسبى ذراريهم ثم ركب إلى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية . قال : ثم انصرف بسبى كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت المقدس وأرض فلسطين والأردن وفى السبى دانيال.

قال ابن كثير والظاهر أنه دانيال بن حزقيل الأصغر لا الأكبر على ما ذكره وهب بن منبه . . . والله أعلم .

من نفى بابل إلى سقوط ملك البابليين :

واشتهر ذلك فى التاريخ باسم نفى بابل حيث ظلوا فى الأسر ذهاء خمسين سنة حتى تغلب كورش ملك الفرس على البابليين عام ٥٣٨ ق م فأطلق سراح اليهود ورجع كثير منهم إلى فلسطين .

[تم بحمد الله]

الفهرس